

الشيب والشباب

في شعر الشريف الرضي

بنلهم الاستاذ عز الدين آل ياسين

— ٤ —

وما سبب هذا الشيب ؟

ولا يزيد سببه العاصي المتكرر في وظائف الاعضاء ، فذلك سبب لامهم الاديب ولا يمتعه ، بل سببه الذي يمليه الخيال وهو أدنى إلى الجدة والجمال ، وللشريف في اختراع علل الشيب افتتان الشاعر الذواق .

فهو يعزو شيبه إلى الغواني ودخن وامتناعهن :

يذم البيض من جزع مشبي ودل البيض اول ما أشابا

خجاع الشباب فقل لي اين اطلبه

وازور عن نظري البيض الرعايد

الذهبي « رأيت الجزء الذي جمعه في فضائل معاوية وفيه اشياء كثيرة موضوعة ، والآفة فيها من غيره ... قال ابن النديم ... وكان يقول انه شاعر مع غايته قلت : هذا أوضح الأدلة على ان ابن النديم رافضي لأن هذه طريقتهم : يسمون أهل السنة عامة وأهل الرفض خاصة [١] . وذكر جزأه في فضائل معاوية جلال الدين السيوطي تقلا عن غيره [٢] . وأرخ وفاته ابو الفرج ابن الجوزي ولم يشر إلى هذا الأمر من سيرته [٣] وجاء في كامل ابن الاثير في حوادث سنة ٣٤٥ بصورة « ابي عمر والزاهد » والصواب - كما ذكرنا - ابو عمر الزاهد ، وذكره ابن تغري بروي في النجوم الزاهرة لسنة ٣٤٥ ومن أحسن ذكره مع اختصار كتابه ابو الفداء في تاريخه . (يتبع)

[١] لسان الميزان ج ٨٥ ص ٢٦

[٢] البغية ص ٩٩

[٣] المنتظم ج ٦ ص ٣٨٠

٥

بيض وسود برأني لا يسلطها

على الذوائب إلا البيض والسود

وقد يرد تبعته إلى الزمان وصروفه واحزانه :

راحت تعجب من شيب ألم به وعاذر شيبه التهام والاسف

ولا تزال هموم النفس طارقة رسل البياض إلى النودين يختلفه

ولم يلبث من غربان الليالي نعيمًا أن أطرز غراب رامي

وما زال الزمان يحيف حتى نزعته له على مضض لباسي

ورأت وخط بياض طارق وخط التهام قلبي فوخط

ما لها تنكر مع هذا الشجا وقعب الشيب بالجعد الفطط

فهو لم يشب اذن من طول السنين وتقادم العمر ، كيف

وقد وخطه الشيب والغصن رطيب ، ان هذا الشيب إلا

غبار حروب الدهر غطى سواده :

وما شبت من طول السنين وانما

غبار حروب الدهر غطى سواديا

وما انحط اولى الشعر حتى نعيته فيبيض هم القلب ما في عذاريا

ولا عجب اذا افضى المشيب إلى رأسه وهو في أعلى قباب

الشباب ، فالرياح اذا اشتدت قصفت على الغصون الرطاب :

تخطى المشيب إلى رأسه وقد كان في أعلى قباب الشباب

كذلك الرياح اذا استلأمت تقصف على الغصون الرطاب

فنون الشيب

وفي هذا الباب - الشيب والشباب - معرض الكثير من

فنون التشبيه التي تملها الصناعة الفنية التي ألهمها الشريف

الرضي الهاما فكانت فيه ملكة راسخة واضحة المعالم بينة

اللمحات في معظم مجهوده الأدبي

من ذلك انه يشبه الشيب بالبازي المنقض على الرأس

لينسل منه إلى المهجة يتأكلها فاذا رآه غراب الرأس

استولى عليه الذعر فطار :

وطعم لبازي الشيب لادمه جتي أسف على رأسى فطار غراب

وقد يشبه الرأس الأسود بالفرس البهم والبياض الذي

يتخلله بالفرر والحجول :

كنت البهم واعلاق الهوى جدد واخلفتك حجول الشيب والفرو

١٣٥

ويشبه الشعر الابيض بالصبح ، وسواد الذوائب بالليل
 ويرد هذا التشبيه كثيراً في شعره ، وهو يظهر الضيق
 بهذا الصبح الذي يظلم به النهار ، ويأسى على ذلك السواد
 الذي يضيء به الليل :
 ايها الصبح زل ذمياً فما اظلم لم يرمى من بعد ذلك الظلام
 ويعود الى هذا الصبح فيخبره في لهجة الخائق عليه ان
 شمس المثرة قد ارمضت فوديه فما احوجها الى ظل يزود
 عنها وقدة هذا الارماض ، وهل لحرارة هذه الرمضاء الا
 ظل الشباب ، ولكنه ظل زائل كظل الغمام لا يكاد يظهر
 حتى يختفي :

أرمضت شمسك المثرة فودي فمن لي بظل ذلك الغمام
 ويعود الى هذا التشبيه بأسلوب آخر فيشبه انتشار
 للبياض في الشعر الفاحم بشعشة ضوء الصبح في الليل البهيم :
 وشاعت البيضاء في مفرقي شعشة الصبح وراء الظلام
 ويفدى سواد شعره بسواد عيذه وسويداء فؤاده :
 لو يفدى ذلك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضميري
 ويفدى بياض الشيب للبياض الاول أي بياض الوجه
 قبل ابقائه ثم يتمنى لو لم يطلع الصبح وبقي ايسل الشباب
 يد الدهر :

ليت بياضاً جاءني آخراً فدى بياض كان لي أولاً
 وليت صبحاً ساءني ضوءه زال وابتقى ليلاً لا ليلاً
 ويوازن بين بياض الشيب وسواد الشباب ، فيأخذ
 على لون الشيب انه ناصب زائل على حين ان الشيب ساطع
 فاصح ، ويدعي ان الشيب احسن اي من حيث انه ينزع
 بصاحبه الى النضج والهدوء والوقار واستتمام الرجولة
 واستكمال ادواتها وشاراتها ، ولكنه يأس العود جاف
 الورق وبضده الشباب النضير وغصنه الطير ، ففيه غضارة
 وحرارة ليس للشيب منها نصيب مذكور ، ثم يمتس هذا
 السواد والبياض على سواد العين وبياضها ، ففي العين كلا
 اللونين ولكنها لا تنظر إلا باحدهما :

لون الشيب انصم الألوان والشيب جل عمام الفتيان
 والشيب احسن غير ان غضارة للمرء في ورق الشباب الا في

وكذا بياض الناظرين وانما - بسوادها تنأمل العينان
 ويكرر تشبيه الشيب بالعمامة في مواطن عدة ، كما انه
 يكرر تشبيه الشعر بغزوه البياض بالنبت بعثريه الذبول :
 فيا حادي السنين قف المطايا فهن على طريق الاربعينا
 وان الرأس بعدك صوحته بوارح شبية فغدا جبيننا
 كان الشباب الذي انضيت من دله عقب الخيلة لما صوح الزهر
 وهو يرى صفته خامرة ان يبيع السواد بالبياض
 والبهيم بالأغر :

ما للبياض والشعر ما كل يبيض بغرر
 صفقة غبن في الهوى بيع بهيم بأغر
 وقد يعد الشيب عملاً للسيف الصدى أو لظي نار بعد الدخان
 وهو لا يرى المشيب الا ظالماً مسيحاً متمراً في العطاء بعكس
 وقد صقل السيف بعد الصدا وبان لظي النار بعد الدخان
 الشباب ، ويرى كل ما تسلفه الليالي من متاع الشيب
 مردوداً عليها في ايام الشيب :

شبابي ان تكن احسنت يوماً فقد ظلم المشيب وقد اساء
 ويا معطي النعيم بلا حساب اتاني من يقتل العطاء
 متاع اسلفتناه الليالي واعجلنا فاسرعنا الاداء
 ترى ماذا يعني بهذا المتاع الذي اسلفته الليالي اياه ؟ لقد
 نحيل الى من يحمل الكلام على ظواهره ويعمى عن الخفي
 من بواطنه انه يقصد لذات الشباب الآثمة ، ولكنه
 ينفذ عن ازاره العف هذا الحسبان ، فيعلن في اكثر من
 مكان واحد انه كان في عافية من هذه المزالق في شبابه
 وفي مشيبه ، ولعله يعني بمشيبه سن الرجولة حين تجاوز
 الثلاثين ، والا فهو لم يفارق الحياة الا كهلاً في السابعة
 والاربعين من عمره :

اغدرا يا زمان ويا شباب اصاب هذا لقد عظم المصاب
 يريد انه يغدر احد هذين قليل الخيلة ضعيف الوسيلة
 فكيف وقد اجتمعا على الغدر به :

وما جزعى لان عز التصابي وحلقى عن مفارقي الغراب
 فقبل الشيب اسفلت الغواني فلا واماني عنها اجتناب

عفت عن الحساب فلم يرعني المشيب ولم ينزقني الشباب
ويعلن أحياناً الأصله لمشيب ألا نسان بأجله فقد يدركه
الموت ولما يخلق الغراب عن رأسه :

يغم الفتى ذكر المشيب وربما يلقى انقضاء العمر قبل مشيبه
وقد يقرر ان مرارة الحياة وحلاوتها لا ترتبطان بشيب
ولا شباب ففي كل من الطورين نصيب من هذه ومن تلك :
وما كل ايام المشيب مريرة ولا كل ايام الشباب عذاب
وقد يرحب بالشيب ينتشر في ليله انتشار الازهار
البيض في الاغصان اللدن ، ويعلن انه لم يكن عاشقاً
فيشفق من الشيب ان يقص عنه الحبيب ؛ كما انه لم يغط
بسواد شعره عينا يخشى ان ينم عليه الشيب ، وانما يذم
مطلع الشيب لأمر واحد هو انه يقلص الامل ويقرب الاجل .
ثم يعلو منصة الواعظ المحنك الحكيم فيجهر بالحقيقة
التي لا مناص من الايمان بها وان كانت مريرة ، وهي ان بياض
الشعر خطوة الى الموت ، ولكن الحزن المقدور قد يفجأ بلا
استيدان فيأخذ الانسان على غرة وهو سادر ، ومن
انظره اجله ادر كه الكبر ، وردته الشيخوخة الى ارجل
العمر ، الى هذه الصحراء الجافة التي لا يتدبها لهو ولا جدل
ولا يحملها نزوع ولا امل ، فيضيق من نفسه ما كان
يتداح بالمطامع الكبيرة والرغبات الضخمة والقصور والعلالي
من لم يعطه بياض الشعر ادر كه

في غرة حتمه المقدور والأجل
من أخطأته سهام الموت قيده

طول السنين فلا لهو ولا جدل
وضايق من نفسه ما كان متعها

حتى الرجاء وحتى العزم والامل

عز الدبره ال ياسين

فاضل كعباس مؤيد

الحسابي

مكتبه في النجف رقم التافون (٧٥)

من كتاب (النجف في ربع قرن)

الثورة النجفية سنة ١٩١٨

- أو -

قبس الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠

بقلم : الاستاذ السيد محمد علي كمال الدين

والآن نعرض عليك أيها القاري فصول هذه المأساة مع

ما يتعلق بها ويتخلل فيها من مفاوضات واحداث وملابسات
وأراء وأبناء محاولين ابرازها حقيقة تاريخية كاملة المناظر
والاسباب والمسببات والنتائج :

١ - تفاقم الامر وتدير الثورة

لقد تفاقم أمر الحزبين السياسي والدموي حتى بلغ عدد
اعضاء الحزب الدموي المائتين من الشباب المسلحين بينهم بعض
أولاد شيوخ النجف إضافة الى الشيخين كاظم صبي وعباس
علي الرماحي وكانت كتل الحزب ثلاثا « ١ » كتلة كاظم
صبي وعباس الرماحي « ٢ » كتلة الحاج نجم « ٣ » كتلة
أولاد سعد الحاج راضي واكثر الكتل تحمسا الثانية فالثالثة
ويظهر لنا ان الحاج نجم كان على علم من استخبار الانكليز
بمقررات الحزب لذلك فاجأ الحزب بخطة نظمها واوعز الى
جميع الاعضاء أن يجتمعوا عند منتصف الليل لتنفيذ خطة الهجوم
على دار الحكومة تلك الخطة المقررة مبدئياً في جلسات سابقة
متعددة فوافق قسم عظيم من الاعضاء واتفقوا أن يكون مقر
اجتماعهم جبانة النجف قرب دار الحكومة على أن يستعملوا
كوفيات بيضاء وهي زي الشرطة المحلية « شبانة » التي شكلها
الانكليز فحضر منهم ما يناهز المائة على ان معظم الحضور فضلوا